

ظروف ومراحل الاحتلال الروماني لإسبانيا

Hispania

(شبه جزيرة إيبيريا)

د.ساحير نصيرة

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة-

1- ظروف الاحتلال الروماني لإسبانيا Hispania:

لقد أطلق الرومان اسم إسبانيا Hispania على كل منطقة شبه جزيرة إيبيريا، ومن المحتمل أن هذا الاسم مشتق من كلمة فنيقية الأصل " إشفانيا Ishafania"، التي تعني الأرنب، يبدو أن هذا الأخير قد عرف انتشارا كبيرا في هذه المنطقة خاصة في الجهة الجنوبية منها، وبذلك كلمة إسبانيا ربما تعني بلاد الأرناب¹.

يعود اهتمام الرومان بمنطقة إسبانيا إلى فترة التوسعات² التي قادتها قرطاجة في هذه المنطقة بعد نهاية الحرب البونية الأولى، وذلك حتى تتمكن من تعويض ما فقدته في جزيرتي صقلية وسردينيا، وأيضا دفع تعويضات الحرب (الغرامة الحربية) التي فرضتها روما عليها³.

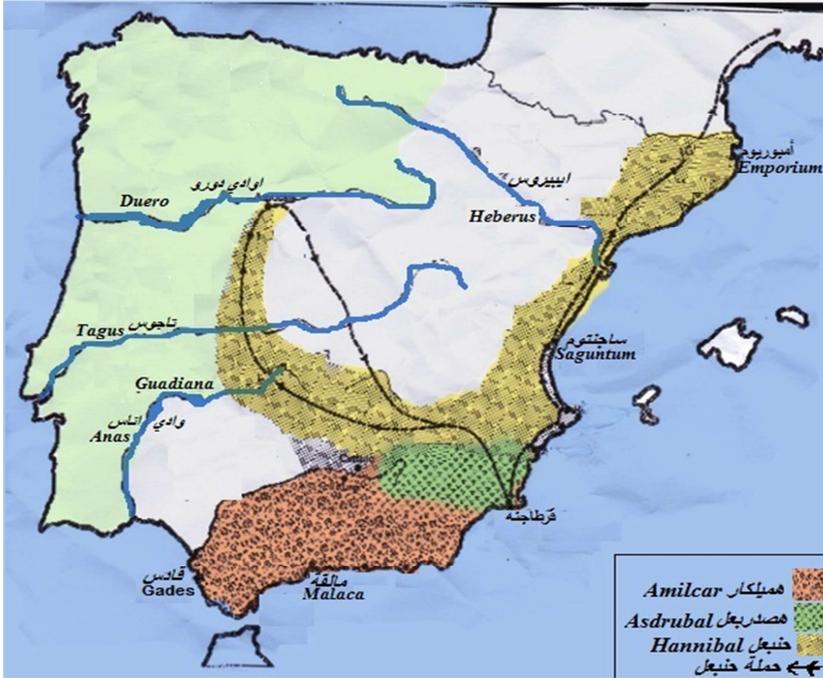
بدأت التوسعات القرطاجية بإسبانيا على يد القائد هميلكار برقة Hamilcar Barca، بالضبط ما بين السنوات (238-229 ق.م)، حيث

¹ من المحتمل أيضا أن تكون كلمة إسبانيا مشتقة من اللغة الكلتية (اللغة الإسبانية القديمة)، أنظر : Deping (G-B), Histoire Générale de l'Espagne, depuis les temps les plus reculés jusqu' au règne des rois maures, Ed. Dabo, Paris, 1814, p.53.

² أنظر الشكل رقم 01 ص 2

³ Moalti (C), Les guerres puniques, èd. Gallimard, Paris, 2009, pp.1-73.

عمل على استغلال مناجم جنوب إسبانيا (مناجم الفضة)، ومنها خاصة مناجم منطقة جبال سيرا مورينا Sierra Morena وهو ما مكن قرطاجة من دفع تعويضات الحرب مبكرا، وذلك سنة 231 ق. م.⁴



الشكل رقم 01: توسعات قرطاجة بمنطقة اسبانيا (شبه جزيرة إيبيريا) في عهد آل برقة
 Roldan (J.M), " Cartago y Roma en la Peninsula Iberica ", Historia de España antigua, II, Hispana romana, Spanish Edition, Madrid,1988, p.20 (بالتصرف من الباحثة)

وبعد وفاة هميلكار Hamilcar، واصل توسعته صهره هسدربرعل⁵ Hasdrubal الذي قاد عدة حملات عسكرية بإسبانيا خلال السنوات (229-221 ق.م)، أخضع من خلالها الأجزاء الجنوبية من هذه

⁴ Dupré (N), " La place de la vallée de l'Ebre dans l'Espagne Romaine", Melanges de la Casa Velazquez (M.C.V), 1973, Vol. 9, N°1, p.138.

⁵ أنظر الشكل رقم 01، ص 2 .

المنطقة⁶، وكما أسس سنة 227 ق.م مدينة قرطاجنة Carthago-Nova (Carthagène)⁷.

أدى توصل التوسعات القرطاجية باتجاه شمال إسبانيا إلى انتشار الخوف في وسط المستعمرات الإغريقية بإسبانيا، فاتجهت هذه الأخيرة إلى طلب النجدة والمساعدة من الجمهورية الرومانية التي لبثت الدعوة، لأنها وجدت لها فرصة للحد من الوجود القرطاجي بهذه المنطقة، فأرسلت روما بعثة إلى قرطاجنة للتفاوض معها⁸، وتم وضع شروط معاهدة سنة 226 ق.م⁹ والتي تسمى أيضا بمعاهدة الإيبرو Iberus¹⁰، حيث تنص على عدم تجاوز قرطاجنة لنهر الإيبرو Iberus شمالا¹¹.

وبذلك أعتبر هذا النهر الحد الفاصل بين الإمبراطورية القرطاجية والجمهورية الرومانية¹²، لكن ذلك من الناحية المعنوية فقط¹³، لأنه لم يتم العثور على أي دليل إلى حد الآن يؤكد الوجود الفعلي للرومان بمنطقة شمال شرق إسبانيا قبل سنة 218 ق.م (قبل اندلاع الحرب البونية الثانية)¹⁴.

وبعد مقتل هسدر بعل Hasdrubaal سنة 221 ق.م¹⁵، خلفه حنبعل Hannibal الذي كان شديد الكره للرومان، بدليل أنه لم يعط أية أهمية

⁶Polybe, Histoire, Trad. Roussel, éd.Gallimard, Paris, 1970, II, 1 et 7; Tite live, Histoire romaine,(10vol),Trad. Lasserre (E), éd. Garnier, Paris. 1943- 1958, XXI, 2.

⁷ Deping (G.B), op.cit, p.77.

⁸ Ibid, pp. 77-78.

⁹ Polybe, III, 5

¹⁰ Carcopino (J), " Apropos du traité de l'Ebre ", C.R.A.I, 1960, Vol .104, pp.341-346.

¹¹ Polybe, III, 5; II, 3

¹² Depping (G.B), op.cit, p.78.

¹³ أشار تيت ليف Tite live أنه لا وجود للرومان بالمنطقة قبل سنة 218 ق.م، أنظر:

Tite Live, XXIV, 13, 4-7

¹⁴ Cadiou (F) et Moret (P), " Rome et la frontière hispanique à l'époque républicaine (Ile s-I^{er}.s.av.J.C) ", Dans la frontière entre risque et protection, Actes du colloque international IFAO, Caire, 2004, p.188.

¹⁵ أنظر حول مقتل هسدر بعل :

Tite Live, XXI, 2, 6

لشروط معاهدة سنة 226 ق.م حيث واصل التوسعات التي بدأها هصدربعل باتجاه شمال إسبانيا¹⁶ أين قاد عدة حملات عسكرية ضد السكان الأصليين خلال الفترة الممتدة ما بين (219-221 ق.م)¹⁷، كما استولى سنة 219 ق.م على مدينة ساجونتوم Saguntum¹⁸ (ساغنتة)، وكان ذلك سببا مباشرا في تدخل روما وإعلان الحرب البونية الثانية سنة 218 ق.م.¹⁹

لقد أرسلت روما قوات عسكرية هامة بقيادة القنصل بوبليوس كورنيليوس سكيبيو Publius Cornelius Scipio²⁰، لمواجهة القوات القرطاجية بإسبانيا، ومحاولة توقيف جيش حنبعل الزاحف إلى إيطاليا، وكذا منع الإمدادات العسكرية عنه.

رغم نجاح حنبعل من الإفلات بسرعة من القائد الروماني سكيبيو، إلا أن هذا الأخير أحرز أول انتصار له سنة 217 ق.م على القوات القرطاجية عند مصب نهر الإيبرو Iberus و استطاع بذلك تحرير مدينة ساغونتوم Saguntum، وكان ذلك بمساعدة قوات شقيقه كينيوس سكيبيو

¹⁶ أنظر الشكل رقم 01، ص 2 .

¹⁷ Romey (ch.), Histoire d'Espagne, éd. Furne et CIE, Paris, 1839, Tome I, p.82 ; Roldan (J. M), " Cartago y Roma en la Peninsula Iberica ", Historia de España antigua, II, Hispana romana, Spanish Edition, Madrid, 1988, pp.19-22.

¹⁸ Tite Live, XXI, 5; Polybe, III, 4

¹⁹ تقع مدينة ساغونتوم Saguntum في الحقيقة جنوب نهر الإيبرو Iberus ، لذلك اعتقد كاركوبيو أن النهر المقصود هنا هو نهر سوكرو Sucro(جوكار Jucar) الذي يقع على بعد ستون كيلومترا (60 كلم) جنوب ساغونتوم Saguntum أنظر :

Carcopino (J), " Apropos du traité de l'Ebre ", op.cit, p.341.

²⁰ أنظر حول حياته وأعماله :

Plutarque, Les Vies des hommes illustres, Trad. Amgot, éd. Gallimard, Paris, 1951, Scipio, I

Cinius Scipio²¹ والقبائل الإسبانية، خاصة منها القبائل الكلتيّة الإيبيرية Celtiberi²²، نتيجة لمعاناتها من الوجود القرطاجي بأراضيها. كما استطاع الرومان سنة 216 ق.م إحراز انتصارات أخرى ضد القوات القرطاجية بإسبانيا، التي كانت تحت قيادة شقيق حنبعل Hannibal، وهو هصدربعل Hasdrubaal، وفيما بين سنتي 214-213 ق.م أعلنت القبائل الإسبانية الإيبيرية الكلتيّة Celtiberi حربا ضد قرطاجة، واستطاعت إلحاق خسائر معتبرة في جيش هصدربعل الذي هزمته شر هزيمة سنة 212 ق.م²³.

وفي سنة 211 ق.م انهزم الرومان أمام القوات القرطاجية وقتل الأخوين سكيبيو Scipio²⁴، مما اقتضى من روما تعيين قائد عسكري جديد، هو بوبليوس كورنيليس سكيبيو Publius Scipio Cornélius الملقب بسكيبيو الإفريقي (ابن بوبليوس سكيبيو)²⁵، الذي وصل إلى إسبانيا سنة 210 ق.م، وعمل على الثأر لمقتل أبيه وعمه، ولقد استطاع في ظرف سنة إحراز عدة انتصارات ضد القوات القرطاجية، كما استولى سنة 209 ق.م على مدينة قرطاجنة Carthago-Nova²⁶.

²¹ Tite Live, XXI, 17, 1; Polybe, III, 4.

²² القبائل الكلتيّة الإيبيرية Celtiberi (Celtibères) : ظهرت بإسبانيا نتيجة الاختلاط الذي حدث بين القبائل الإيبيرية Ibères (نسبة لنهر الإيبيرو Ibérus) التي تعتبر من القبائل الأولى التي قطنت بإسبانيا والقبائل الكلتيّة Celtes التي استقرت بها فيما بعد (في المناطق الشمالية والغربية)، ومن أهم مناطق انتشار القبائل الإيبيرية الكلتيّة هي وسط إسبانيا أنظر :

Tite Live, XL, 35, 13; XL, 39, 1; Strabon, III, 4, 12-13; Dottin (G), Les premiers habitants de l'Europe d'après les écrivains de l'Antiquité, 2ème éd, éd. Thorin et Fils, Paris, Vol 2, pp.41-45.

²³ Tite Live, XXIV, 42; XXIV, 49; XXII, 21; XXV, 32.

²⁴ Plutarque, Scipio, I.

²⁵ Ibid, II.

²⁶ Tite Live, XXVI, 47; Polybe, X, 20, 8; X, 34, 1; X, 40, 12.

ولقد استمرت الحملات العسكرية بقيادة سكيبيو الإفريقي ضد ما تبقى من القوات القرطاجية بإسبانيا تحت قيادة ماجون Magon (الشقيق الثاني لحنبعل) وكانت المعركة الفاصلة بينهما بموقع Illipa²⁷ (قلعة ديل ريو Alcala Del Rio) سنة 206 ق.م التي انتهت بانهزام القرطاجيين، وبذلك استطاع الرومان التوغل داخل أراضي إسبانيا الجنوبية والاستيلاء على مدينة قادس (Gades) Cadix في نفس السنة، هكذا تم طرد نهائيا القرطاجيين من إسبانيا وخلفهم الرومان بها²⁸.

2- مراحل الاحتلال الروماني لإسبانيا Hispania (19-206 ق.م):

بعد أن غادر سكيبيو الإفريقي Scipio إسبانيا، أرسل إليها مجلس السناتو الروماني حاكمين برتبة بروقنصل، وهذا تمهيدا لتقسيم منطقة إسبانيا²⁹ إلى مقاطعتين منفصلتين³⁰، وقد تم ذلك رسميا سنة 197 ق.م، تسمى المقاطعة الأولى إسبانيا ستريور Provincia Hispania Citerior (الجزء الشمالي من إسبانيا) وتعني المقاطعة القريبة من روما، عاصمتها قرطاجنة Carthago-Nova وفي عهد يوليوس قيصر (القرن I ق.م) انتقلت عاصمتها إلى تاراكو Tarraco (تاراغونا Tarragone)³¹.

²⁷ Polybe, XI, 33, 7.

²⁸ Cadiou (F), *Hibera in terra Milles: les armées romaines et la conquête de l'Hispanie sous la république (218-45avJ-C)*, éd. Casa Velázquez, Madrid, 2008, p.365.

²⁹ يبدو أن هذا التقسيم كان موجودا منذ سنة 206 ق.م، أنظر :

Jacob (P), " La frontière entre l'Espagne ultérieure et citérieure au début de II siècle AV.JC ", *Ktéma*, 15, 1990, pp.253-254.

³⁰ أنظر الشكل رقم 2، ص7.

³¹ Albertin (E), *Les Division administratives de l'Espagne*, éd.Boccard, Paris, 1923 pp.10 et 21 ; Roux (le -P), « L'invention de la province d'Espagne citérieure de 197A.C à Agrippa », in *La invencion de una geografica de la Peninsula Iberica*. Tome I, *La Epoca republicana*, éd.Casa Velazquez, Madrid, 2006, p.129-132.

أما المقاطعة الثانية فتسمى بإسبانيا أولتيريور Provincia Hispania Ulterior (إسبانيا السفلى أو الجنوبية)، وتعني المقاطعة البعيدة من روما عاصمتها مدينة إشبليس Hispalis (إشبيلية Seville) التي أسسها القائد سكيبيو قبل مغادرته إسبانيا سنة 206 ق.م ، وفي سنة 150 ق.م اتخذت كوردوبا Corduba (قرطبة Cordoue) عاصمة لها³².

أما بالنسبة للحدود التي تفصل بين هاتين المقاطعتين ، فلم يعثر بعد على أي نص تحدث عنها، لكن بعض الدراسات الحديثة حاولت تحديدها بالتقريب، حيث وضعتها بنهر الإيبرو Iberus (كحد طبيعي)، و تعرضت هذه الحدود للتغيير سنة 193 ق.م، حيث تم وضعها مباشرة بجنوب مدينة قرطاجنة³³.

زودت هاتان المقاطعتان بمجموعة هامة من المراكز العسكرية الرومانية والعدد الأكبر منها تم تأسيسه بمنطقة نهر بيتيس Baetis (الوادي الكبير Guadalquivir) باعتبارها من أهم المناطق الخصبة بإسبانيا، وأيضا بمناطق انتشار المناجم، وخاصة منها مناجم منطقة سيرا مورينا Sierra Morena بجنوب إسبانيا³⁴.

كما تم تدعيم هاتين المقاطعتين بطرق برية هامة وهذا لتأمين وتسهيل الاتصالات مع روما وأيضا من أجل مواصلة عملية الاحتلال للأجزاء غير الخاضعة لروما بإسبانيا ونذكر منها طريقيين رئيسيين بإسبانيا

³²Albertin (E), op.cit, p. 11 et 22.

³³Jacob (P), op.cit, p.268; Cadiou (F) et Moret (P), " Rome et la frontière hispanique...", op.cit, p.190, Albertini, op.cit, p.14; Dupré (N), " Front, frontière dans de nord – est de l'Espagne romaine " Archéologie, Espacial, 13, 1989, pp.173-187; Léonard Curchin (A), Roman frontière concepts in the Spanish interior ", dans Roman Frontière Studies, 1995, pp.67-70.

³⁴Cadiou (F), " Garnisons et camps permanents : un réseau défensif des territoires provinciaux Dans Hispanie républicaine ", Dans Defensa y Territorio en Hispania de los Excipions a Augusto, éd. Léon, 2003, pp.83-85.

أولتيريور Hispania Ulterior، هما : الطريق الشرقي الذي يبدأ من تاراكو Tarraco (تاراغونا Tarragona)، يمر بمدينة فالنس Valence و يصل إلى كوردوبا Corduba (قرطبة) ، و الطريق الجنوبي الذي يبدأ من كارتيا Carteia (بالقرب من سان روكي San Roque) مرورا بموندا Munda إلى غاية كوردوبا (قرطبة)، يستعمل هذا الطريق عندما تكون الملاحة مفتوحة بالبحر الأبيض المتوسط، خاصة من شهر أفريل إلى شهر نوفمبر³⁵.

استعمل أيضا خط نهر بيتيس Baetis (الوادي الكبير Guadalquivir) كطريق هام لتسهيل عملية تنقل الفرق العسكرية الرومانية³⁶، وشكل أيضا خطا دفاعيا هاما بالمنطقة حيث كان بمثابة حاجز يفصل بين المنطقة التابعة للرومان بجنوب إسبانيا والهضاب العليا بوسط إسبانيا Meseta، التي تنتشر بها القبائل المعادية للرومان³⁷.

أما بالنسبة لعمليات التوسع الروماني بباقي أراضي إسبانيا، فقد بدأت ببطء باتجاه الأراضي الوسطى، ثم الأراضي الشمالية والشمالية الغربية، فخلال السنوات (206-179 ق.م) قاد الرومان حملات عسكرية كبيرة ضد القبائل الكلتيّة الإيبيرية Celtiberi التي انتصروا عليها، وأدى ذلك إلى

³⁵ Sillières (P), " Voies romaines et contrôle de l'Hispanie à l'époque républicaine : l'Exemple de l'Espagne Ulérieure ", Dans *Defensa y Territorio en Hispania en los Escipiones à Augusto*, éd. Cadio (F) Léon, 2003, pp.25-27.

³⁶ لا يتم تغيير هذه الفرق كل سنة، فالجنود الرومان أو الإيطاليين كانوا يقيمون لمدة طويلة بإسبانيا، وكانوا يتحصلون بعد التقاعد على قطعة أرض تحدد مساحتها حسب عدد سنوات الخدمة العسكرية التي قضوها كل جندي، هذا وبالإضافة إلى العناصر المساعدة، والتي أغلبها من القبائل الإسبانية الكلتيّة الإيبيرية Celtibères وقد ظهرت البعض منها إلى جانب الجيش الروماني منذ بداية الاحتلال الروماني لإسبانيا، بداية من المرتزقة التي دفع لها كاتو Caton سنة 195 ق.م، أنظر :

Cadiou (F), *Hibera in terra Milles: les armées romaines et la conquête de l'Hispanie* op.cit, p.370 ; Roux (P-Le), *L'armée romaine et l'organisation des provinces romaines ibériques d'August à l'invasion de 409*, éd.Boccard, Paris, 1982, pp.33-35.

³ Sillières (P), op.cit, p.32.

إخضاعهم للأجزاء الوسطى من منطقة إسبانيا³⁸. وفي سنة 193 ق.م أخضع الرومان منطقة توليتوم Tolétum (طليطلة Tolède)³⁹، وأنهوا احتلالهم لمنطقة جنوب إسبانيا بين السنوات (190-180 ق.م)، وذلك بعد إخضاعهم لمنطقة بستيتانيا Bastetania⁴⁰، و سيطروا خلال الفترة الممتدة ما بين (160-130 م) على منطقة وادي توريس Turis (الوادي الأبيض Guadalviar)، و المنطقة الممتدة من نهر بيتيس Baetis (الوادي الكبير) إلى وادي أناس Anas (وادي آنا Gadiana) وصولاً إلى منطقة وادي تاجوس Tagus (Tage)، و منها واصلوا توسعاتهم إلى غاية منطقة وادي دوريس Durius (دورو Duero) بشمال غرب إسبانيا⁴¹.



الشكل رقم 2: التوسع الروماني بإسبانيا (شبه جزيرة إيبيريا) خلال (190 - 19 ق.م)
Cadiou (F) et Moret (P), " Rome et la frontier hispanique..." , op.cit, p.35
(بالتصرف من الباحثة)

⁵ Duruy (V), Histoire des romains et des peuples soumis à leur domination, éd. Hachette, Paris, 1843, p.501.

³⁹ Tite Live, XXXV, 7, 6-8 ; XXII, 5-8 ; XL, 47, 1

⁴⁰ Angeles Pérez Cruz (M), " La dépression de Grenade ancienne ", Dialogue d'histoire ancienne, Vol. 24,1998, pp.77-78

⁴¹ Albertin, Op.cit, pp.10-17

ولقد نتج عن هذه التوسعات إندلاع عدة ثورات للأهالي ضد الوجود الروماني بالمنطقة ،نذكر منها خاصة ثورات قبائل لوزيتانيا Lusitania (البرتغال) التي بدأت سنة 154 ق.م واستمرت إلى غاية 139 ق.م⁴² وقد انضمت إليها القبائل الكلتيية الإيبيرية Celtiberi فيما بين سنتي (151-150 ق.م)⁴³.

ومن أكبر الثورات التي عرفتها منطقة لوزيتانيا Lusitania (البرتغال) خلال هذه الفترة، هي ثورة فيرياتو Viriato (Viriathe)⁴⁴ ما بين السنوات (147-139 ق.م) نسبة لقائدها، ولقد اعتبرت هذه الثورة من أكبر الثورات الشعبية عبر التاريخ التي عرفتها ليس فقط منطقة البرتغال بل كل مناطق شبه جزيرة إيبيريا ، وتخليدا لقائد هذه الثورة فيرياتو Viriato أُقيم له تمثال ضخم بمنطقة فيسيو Viseu بوسط البرتغال.⁴⁵

⁴² Gorges (J-G), Rodriguez Martin (F-G), " Guerres lusitaniennes entre mythe, Histoire et réalité : reflexions autour du complexe militaire romain du Pedrosillo (Casas de reina Badajoz, Espagne) ", Dans Lusitania Romana : Actas da VI Mesa 2004, pp.368-372; Berrocal (R), "A-propos des peuples, des armes et des sites pendant les guerres Lusitaniennes ", Journal of roman military , 1997, Vol 8 pp.123-136; Chic(G.),"Consideraciones sobre las incusiones Lusitanas en Andalucia ", Gades, 5, 1980, pp.15-25; Mareo (V), Garcia Quintela, " Les peuples Indigenes et la conquête romaine de l'Hispanie ", Dialogue d'histoire ancienne, Vol 116, 1990, pp.181-210 .

⁴³ ثارت هذه القبائل منذ بداية الوجود الروماني بإسبانيا سنة 206 ق.م، وقد قادت ثورات خطيرة خلال الفترة الممتدة خاصة ما بين السنوات (191-189 ق.م)، أنظر :

Renard (L), op.cit, p.24.

⁴⁴ كان مجرد راعي غنم، تحول إلى قائدة ثورة كبيرة، أنظر حول تفاصيل حياته: Pastor Munoz (M), Viriathe la lutte pour la liberté, éd. Pluvia Nocturna, 2003, pp.51-60.

⁴⁵ Gorges (J-G) et Rodriguez Martin (F-G), op.cit, p.368.

تعرفنا بفضل كتاب سيوتون Suetone⁴⁶ على السبب المباشر لاندلاع هذه الثورة، والذي يعود إلى الجريمة الكبيرة التي ارتكبتها الحاكم الروماني بإسبانيا سرفيس جالبا Servius Galba سنة 149 ق.م، حيث أقدم على ذبح ثلاثين ألف شخص من منطقة لوزيتانا Lusitania (البرتغال). ويبدو أن فيرياتو Viriato كان الشخص الوحيد الذي نجى من هذه المذبحة ومنذ ذلك الوقت عمل على الثأر لهؤلاء بإعلانه ثورة كبيرة ضد الرومان⁴⁷.

لقد عمل فيرياتو Viriato على جمع الأنصار، و استطاع فعلا ضم العديد من القبائل إلى جانبه بمنطقة لوزيتانيا Lusitania، فبدأ جيشه يزداد شيئا فشيئا وبفضل العدد الكبير من الثوار الذين جمعهم استطاع أن يزرع الخوف والقلق في صفوف الجيش الروماني، بل أكثر من ذلك، فقد استطاع أن يحدث انقسامات في صفوف الجيش الروماني⁴⁸، وبذلك أحرز انتصارات عديدة ضده، حيث ظل لمدة خمس سنوات يحارب الرومان وكان الانتصار حليفه⁴⁹، هذا ما شجع القبائل الإسبانية الأخرى في الانضمام إلى ثورته، ونذكر على رأسها القبائل الكلتيّة الإيبيرية Celtiberi التي ثارت من جديد ضد الرومان ما بين السنوات (142-140 ق.م)⁵⁰ لهذا دعى القائد فيرياتو

⁴⁶ Suétone, Galba, 3.

⁴⁷ Bouchot (A), Histoire de Portugal et de ses colonies, éd Hachette, Paris, 1854, p.7.

⁴⁸ Bouchot (A), op.cit, p.7.

⁴⁹ أرسلت روما لمواجهة فيرياتو Viriato عدة قادة على التوالي فيما بين السنوات (147-140 ق.م)، وقد هزمهم فيرياتو، وألحق بهم خسائر معتبرة، بداية بالبريتور كايوس فيتيلوس Cayus Vitilius الذي قتله مع أكثر من أربعة آلاف جندي روماني، بالإضافة إلى عدد هام من الأسرى، رغم تركيز روما قواتها بإسبانيا بعد نهاية الحرب البونية الثالثة (القضاء على قرطاج سنة 146 ق.م)، هذا وبالإضافة إلى الدعم العسكري الذي قدمه للرومان الملك النوميدي مكيبسال Micipsa (10 فيلة و300 فارس) سنة 141 ق.م، إلا أن المحاولات الرومانية في القضاء على ثورة فيرياتو Viriato باءت بالفشل، أنظر :

Pastor Munoz (M), op.cit, pp.71-82.

⁵⁰ Gorges (J-G) et Rodriguez Martin (F-G), op.cit, p.369

Viriato إلى تحرير ليس فقط منطقة لوزيتانيا Lusitania (البرتغال)، وإنما كل مناطق إسبانيا (شبه جزيرة إيبيريا)، ولقد استطاع فعلا استرجاع كل أراضي لوزيتانيا و جزء كبير من أراضي إسبانيا أو لتيريور Hispania Ulterior (المناطق الجنوبية)، مما أجبر الرومان على استعمال وسائل عسكرية ضخمة لوضع حد لهذه الثورة الخطيرة⁵¹.

في سنة 2003 تم اكتشاف مركز عسكري روماني ضخم بموقع بدروزيلو Pedrosillo (كازاس رينا Casas Reina) بمنطقة ريجينا Regina (جنوب إسبانيا)، أرخ لهذه الفترة. يشغل هذا المركز مساحة 450 هكتار، أعتبر كقاعدة عسكرية هامة لإنطلاق الحملات العسكرية الرومانية لإخماد ثورة فيرياتو Viriato⁵².

باعث كل الوسائل التي جندتها روما للقضاء على هذه الثورة بالفشل⁵³، لهذا فكر الرومان في إيجاد وسيلة للقضاء مباشرة على قائد الثورة فيرياتو Viriato، باستعمال سياسة الخيانة، حيث تم التقرب من أحد أتباعه، وهو من أصل منطقة لوزيتانيا Lusitania، فقام بذبحه أثناء نومه وذلك مقابل كمية من الذهب، كان ذلك في سنة 139 ق.م⁵⁴.

وبمقتل هذا القائد العظيم فيرياتو Viriato، استطاع الرومان القضاء على ثورته، وإخضاع منطقة لوزيتانيا Lusitania نهائيا، وكذا منطقة القبائل الكلتية الإيبيرية Celtiberi المتحالفة معه⁵⁵، وقد تم استغلال العدد الكبير من أسرى هذه الحرب كعبيد في عمل الأرض والمناجم⁵⁶.

⁵¹ Bouchet (A), op.cit, p.7

⁵² Gorges (J-G) et Rodriguez Martin (F-G), op.cit, pp.349-350 et p.383

⁵³ Appien, Iber, 65-69

⁵⁴ Pastor Munôz (M), Op.cit, p.92

⁵⁵ Queipo de Liano (J-M), Ruiz (de-S), Histoire du soulèvement de la guerre et de la révolution d'Espagne, éd Paulin, Paris, 1836, Vol 1, p.385

⁵⁶ Roux (Le-P), L'esclavage dans les exploitations agricoles de l'Hispanie romaine, MCV, Vol 8, N° 8, 1972, p.634.

لقد فتحت هذه الانتصارات الشهية للرومان لمواصلة توسعاتهم باتجاه الشمال الغربي من إسبانيا، وكان ذلك بقيادة القنصل د.بروتوس D.Brutus الذي استطاع فيما بين سنتي 137/138 ق.م احتلال منطقة كاليسيا Caelaeci (غاليسيا Galice)⁵⁷.

رغم ذلك لم يفقد السكان الأصليون بإسبانيا الأمل في الحصول على حريتهم فبعد فترة قصيرة من نهاية ثورة فيرياتو Viriato أشعلت قبائل إسبانية تدعى النومانس Numances الحرب ضد الرومان، وذلك ما بين السنوات (137-133 ق.م)⁵⁸.

ولقد جهزت روما جيشا كبيرا، كما عينت ثلاث قادة من أجل القضاء على هذه الثورة، وهم على التوالي: ميتلوس Metellus، بوميوس Pompeius و ماكيموس Macimus، لكن الانتصار كان دائما لصالح النومانس⁵⁹. وفي سنة 134 ق.م تم تعيين سكيبيو إيميليانوس Scipio Emilianus على رأس ستين ألف من المشاة الذي عمل على فرض حصار كبير حول النومانس، وذلك بغلق كل المنافذ والإمدادات عنهم، وبالرغم من المحاولات العديدة للنومانس للتفاوض مع سكيبيو إلا أن هذا الأخير أكد أن الجوع هي الوسيلة الوحيدة للتخلص نهائيا منهم⁶⁰.

⁵⁷ كاليسيا Caelicia : هي منطقة تقع شمال نهر الدورو Douro (بأقصى شمال غرب إسبانيا)، أطلق عليها المؤلفين القدماء هذا الاسم نسبة للقبائل التي تقطن بها، أنظر :

Strabon, III, 3, 4; Appien Iber, 73, 75; Pline l'Ancien, III, 4, 28; Trany (A), La Galice romaine, recherche sur le Nord-ouest de la Péninsule Ibérique dans l'Antiquité, éd Boccard, Paris, 1981, pp.178-185.

⁵⁸ نسبة لمدينة النومانس التي تقع شمال إسبانيا بالقرب من وادي دورو Duero، تنتمي الى القبائل الكلتية الإيبيرية Celtiberi ، أنظر :

Rousseaux Saint Hilaire(E), Histoire de l'Espagne depuis les premiers temps historiques jusqu'à Ferdinand, éd. urne et Cie Paris, 1844, vol. I, p.94.

²Renard (L), op.cit, p.29.

⁶⁰ Rousseaux Saint Hilaire (E), op.cit, p.96.

أدى انتشار هذا الخبر إلى تسرب اليأس في وسط النومانس ، مما جعل الكثير منهم يقبلون على عمليات الانتحار، سواء عن طريق الرمي بأنفسهم من أعالي الأسوار، أو عن طريق القيام بالمصارعة، كما تم إضرام النيران حول مدينة النومانس، حتى لا تقع فريسة بأيدي الرومان، و بذلك لم يبق من أفراد النومانس بعد هذه الحادثة المأسوية إلا خمسون شخصا وقعوا كأسرى في يد الرومان بعد سقوط مدينة النومانس سنة 133 ق.م.⁶¹

بالرغم من انهزام النومانس أمام الرومان، إلا أن الثورات استمرت في منطقة إسبانيا دون انقطاع، نذكر مثلا في سنة 109 ق.م، ثارت قبائل لوزيتانيا Lusitania (البرتغال) من جديد، كما ثارت القبائل الكلتيّة الإيبيرية Celtiberi ما بين السنوات (80-72 ق.م)، بحيث انضمت هذه الأخيرة إلى جانب الحاكم الروماني كيننتوس سرتوريوس C.Sertorius الذي أراد الانفصال عن الدولة الرومانية، حيث وجدت فيه تلك القبائل المحرر الجديد لإسبانيا من الرومان، لكن القائد بومبيوس Pompeius استطاع القضاء عليه و وضع حدا لثورته، و بالتالي تم إخضاع إسبانيا من جديد للرومان⁶².

كانت إسبانيا أيضا مسرحا لأحداث الحرب الأهلية التي جمعت بين يوليوس قيصر Julius Caesar و أتباع بومبيوس Pompeius فيما بين السنوات (49-45 ق.م)، ولقد تمكن يوليوس قيصر من فرض سيطرته عليها، وأخضع من جديد كل من كاليسيا Calaeci (غاليسياGalice) و العديد من المناطق الواقعة بلوزيتانيا Lusitania (البرتغال)⁶³.

⁶¹ Rousseaux Saint Hilaire (E), op.cit, p.96.

⁶² Plutarque, Sertorius, II-XII.

⁶³ Mommsen (T), Histoire Romaine, La monarchie militaire, éd. La Fontaine (R), Paris, 1985, p.544; Renard (L), op.cit, p.36.

و تعتبر ثورتي القبائل الكانتابرية Cantabri الكلتية و الأستورية Astures (الكلتية الإيبيرية Celtiberi) بشمال إسبانيا آخر الثورات التي واجهت الرومان أثناء عملية توسعهم بمنطقة إسبانيا Hispania ، و تعود الثورتان للفترة الممتدة من (29-19 ق.م) ⁶⁴.

لقد عمل أكتافيوس Octavius بعد نهاية الحرب الأهلية بروما، وحصوله على لقب الإمبراطور أغسطس Augustus سنة 27 ق.م، على اقتحام إسبانيا من أجل إخضاع تلك القبائل التي بقيت أراضيها خارج السيطرة الرومانية ⁶⁵.

وبذلك قاد الإمبراطور أغسطس بنفسه الحملات العسكرية الرومانية ضد قبائل الكونتبر والأستور، وقد وصل في البداية إلى تاراكو (Tarraco تاراغونا Tarragona) على رأس جيش كبير بالإضافة إلى الجيش الرماني المتواجد بإسبانيا، و استغرقت عملية إخضاع هذه القبائل سبع سنوات، قاد خلالها الرومان ثمان حملات عسكرية هامة ⁶⁶، انتهت بالقضاء على ثورة القبائل الأستورية و إخضاعها نهائيا سنة 22 ق.م ،بينما استمرت ثورة القبائل الكانتبيرية إلى غاية سنة 19 ق.م ⁶⁷..

يمكننا أن نقول أن الرومان استغرقوا قرابة قرنين من الزمن من أجل إخضاع كل أجزاء إسبانيا(شبه الجزيرة الإيبيرية) ⁶⁸، و ذلك بداية من سنة 206 ق.م إلى غاية القضاء على ثورة القبائل الكانتابرية سنة 19 ق.م ⁶⁹.

⁶⁴ Roux (P.Le), Les Romains d'Espagne, Cités et politique dans les provinces (II siècle av.J.C-III S.ap.J.C), éd Colin (A), Paris, 1995, pp.59-60.

⁶⁵ Ibid, p.60.

⁶⁶ Ibid, pp.61-62.

⁶⁷ Dion Cassius, LIV, 20, 3.

⁶⁸ أنظر الشكل رقم 2 ، ص 7

⁶⁹ Roux (Le-P), L'armée Romaine et l'organisation..., op.cit, p.33.

بعدها عمل الإمبراطور أغسطس Augustus على إعادة تنظيم منطقة إسبانيا (شبه الجزيرة الأيبيرية) وتقسيمها إلى ثلاث مقاطعات رومانية⁷⁰، وذلك بتقسيم مقاطعة إسبانيا أولتيريور Hispania Ulterior إلى مقاطعتين منفصلتين⁷¹، تحمل المقاطعة الأولى اسم إسبانيا أولتيريور لوزيتانيا Provincia Hispania Ulterior Lusitania⁷²، نسبة لاسم القبائل التي تقطن بها⁷³، عاصمتها اميريتا أوغستا Emerita Augusta (ميريدا Mérida)⁷⁴.

أما المقاطعة الثانية فتحمل اسم مقاطعة إسبانيا أولتيريور بيتيكا Provincia Hispania Ulterior Baetica⁷⁵، نسبة لأهم وأكبر أنهار هذه المنطقة، وهو نهر بيتيس Baetis (الوادي الكبير Guadalquivir)⁷⁶، عاصمتها كوردوبا Corduba (قرطبة) التي كانت من قبل عاصمة إسبانيا أولتيريور Hispania Ulterior منذ سنة 150 ق.م، وتوافق هذه المقاطعة تقريبا أراضي جنوب إسبانيا المعروفة عندنا حاليا باسم الأندلس⁷⁷.

⁷⁰ أنظر الشكل رقم 3، ص 13.

⁷¹ Dion Cassius, L III, 29

⁷² Pline l'Ancien, III, 6

⁷³ تضم في الأصل الأراضي الغربية (البرتغال)، كانت حدودها الشمالية تتمثل في نهر الدورو Duero ضمت إليها كالييسيا Caellaeci (غاليسيا Galice: الأراضي الشمالية الغربية من إسبانيا)، كما ضمت إليها أراضي القبائل الأستورية بعد القضاء على ثورتها سنة 22 ق.م، فأصبح نهر أستورا Astura (أسلا Esla) يشكل الحد الشمالي الغربي لهذه المقاطعة، أنظر :

Pline l'Ancien, IV, 118; Albertini, op.cit, pp.32-33.

⁷⁴ أسسها الإمبراطور أغسطس سنة 25 ق.م، وبقيت عاصمة لمقاطعة لوزيتانيا Lusitania إلى غاية نهاية العهد الروماني، أنظر :

Albertini, op.cit, pp.31-32

⁷⁵ Dion Cassius, L III, 12

⁷⁶ Pline l'Ancien, III, 3, 1

⁷⁷ Dardaine (S), Cites et société en Bétique au haut empire; Thèse de doctorat d'état, Université de Lille, Lille, 1996, p.11

بينما تغير اسم مقاطعة إسبانيا سيتريرور Hispania Citerior وظهرت باسم مقاطعة تاراكونانسييس Tarraconensis، وهذا نسبة لاسم عاصمتها تاراكو Tarraco (تاراغونا Tarragone)⁷⁸ وألحقت إدارة كل من مقاطعتي لوزيتانيا Lusitania وتاراكونانسييس Tarraconensis بالمقاطعات التابعة للإمبراطور⁷⁹، بينما ألحقت إدارة مقاطعة بيتيكا Baetica (الأندلس) بالمقاطعات السيناتوروية (البروقنصلية)⁸⁰، نظرا لخضوعها التام للرومان، واستمر هذا الوضع إلى غاية نهاية العهد الإمبراطوري الروماني الأعلى (أواخر القرن الثالث الميلادي)⁸¹.

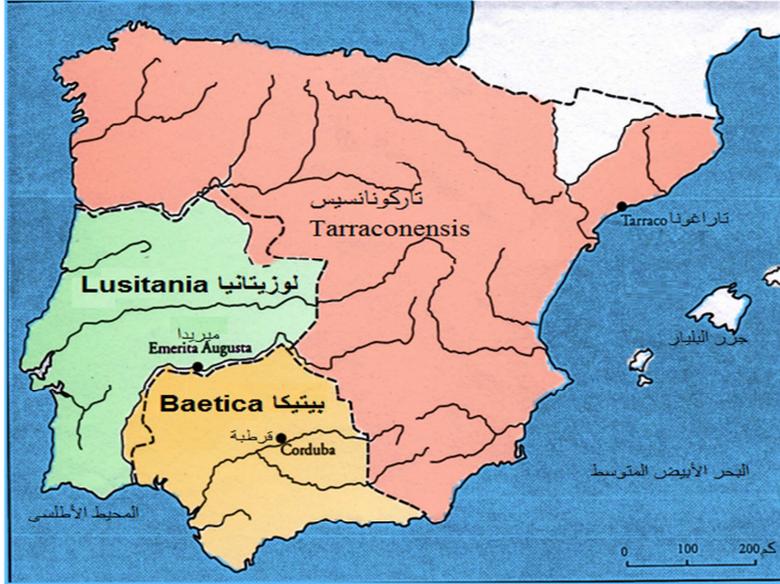
⁷⁸ تمتد هذه المقاطعة من جبال البرانس Pyrénées التي تفصلها عن بلاد غالة (فرنسا) شرقا إلى غاية بيتيكا Baetica جنوبا، ويحدها من الشمال والشمال الغربي كل من السوادين دورو Duero وأستورا Astura (أسلا Asla) وهي تمثل حدودها مع مقاطعة لوزيتانيا Lusitania، أنظر :

Roux (Le-P), Les Romains d'Espagne..., op.cit, p.63

⁷⁹ Ibid, p.64.

⁸⁰ Strabon, III, 4, 20

⁸¹ Roux (Le-P), op.cit, p.65



الشكل رقم 03: المقاطعات الرومانية باسبانيا Hispania (شبه جزيرة ايبيريا)
المصدر: Etienne (R) et Mayet (F), Le vin hispanique..., op.cit, p.10:
(بالتصرف من الباحثة)